

مدى مساهمة البحوث السوسيولوجية في معالجة القضايا الاجتماعية - علم الاجتماع اللغة نموذجاً -

محمد يسعد ليلي

جامعة لونيبي علي - البليلة -2

ملخص

عرفت النظرية السوسيولوجية تطورا بارزا منذ نشأة علم الاجتماع إلى يومنا هذا ، فقد استفاد هذا الأخير من تأثيره وتأثيره بالعلوم الإنسانية الاخرى كعلم النفس والفلسفة والدراسات اللغوية خاصة مع ظهور العولمة وتحدياتها .

إن أول من استعمل مصطلح السوسيولوجيا (علم الاجتماع) هو العالم الفرنسي " اوجست كونت " ، كما استعمل هذا المصطلح أيضا في إنجلترا من طرف " جون ستوارت ميل " في الفترة التي عاش فيها " كونت " وظهر ذلك في كتابه "علم المنطق" الذي نشره عام 1843 وكان يطمح هذان المفكران إلى تخلص هذا العلم من الذاتية والنزاعات النفسية والأحكام القيمية ليصل إلى مقام العلوم الطبيعية .

لذلك اتفق اغلب علماء الاجتماع إلى تعريف هذا العلم على انه العلم الذي يختص بكل ما هو إنساني و اجتماعي ، أي بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية ، ويمكننا القول أن دور علم الاجتماع لا يقف عند الوصف الجاف للظواهر الاجتماعية والمشكلات المتنوعة التي يتخبط فيها الإنسان بل يهدف إلى فهم آليات الظاهرة والعوامل الباطنية التي تتحكم فيها من اجل التحكم فيها والتنبؤ بمستقبلها .

كما اهتمت النظرية السوسيولوجية بعملية التغير الاجتماعي بغرض الوصول إلى قوانين جادة تتحكم فيه ، إلا أن اغلب البحوث والدراسات التي جاءت في هذا الصدد كانت غربية لا تمد لمجتمعاتنا العربية بأي صلة ، لذلك فقد ظهر بعض

المفكرين العرب لينا دوا بضرورة مساهمة علماء الاجتماع العرب كغيرهم من العلماء الآخرين لنهوض بهذا العلم وتقديم الحلول وليس مجرد قراءة المشكلات الحادة التي تتخبط فيها الدول العربية ووصفها ، ومن اجل ذلك كان لابد من الدعوة لتأسيس علم اجتماع عربي عامة ومغاربي خاصة ، فالنظرية السوسيولوجية أصبحت ذات أهمية كبيرة بحيث أصبحنا لا نكاد نتصور عملا ما على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي دون أن يكون قد استند إلى دراسات سوسيولوجية . كما اهتم علم الاجتماع باللغة وهذا ما أدى إلى بروز علم قائم بذاته يتمثل في علم الاجتماع اللغوي .

الكلمات الدالة : النظرية – الفرد – التغير الاجتماعي – علم الاجتماع اللغوي .

The resume

The sociological theory has know a prominent evolution since of emergence of sociology to this day , thus this latter has benefited from the affected and its Impact on the other human science such as psychology , philosophy, and linguistic study especially with the emergence of globalization and its challenges .

The first one who used the term sociology , social science is French sociologist August Kant the same term was also used in united kingdom by john steward mil in period where Kant lived and that appeared in his book science of logic which he published it in 1843 , their ambitious was liberate this science from subjectivity ,

psychological tendency , and prejudice in order to reach the same level of natural science .

For this reason the majority of sociologists agreed on the definition of this science that it is the science which specialize in everything that is human or social this is to say all what is related to human being from the social point of view or all what is related to society from the humanity point of view , and we can say that the role of sociology doesn't stop at the dry description of social phenomena and the different problems which face the human being but aims at understanding the means of this phenomenon and the latent factors which govern them so that to be able to make prediction .and sociolinguistics .

The sociological theory was also interested by changing of social process in order to access to serious laws which govern it , whereas the majority of researches and studies that are concerned with were in fact strange , it has any link to our Arabic societies , this is why some Arabic thinkers has appeared to proclaim; the need for contribution of Arabic sociologists in improving this science and propose solution , not only to attempt a reading of sharp problems that face the Arabic countries for this

reason it was Important to call for the creation of an Arabic sociology in general and specially maghrebian one , so the sociological theory becomes very interesting that we can't Imagine any work at any level either political , economical or cultural level without being based on sociological studies .

KEY WORDS; The sociological theory – human – changing of social – sociolinguistics .

مقدمة

عرفت النظرية السوسيولوجية تطورا بارزا منذ نشأة علم الاجتماع إلى يومنا هذا ، حيث كان في البداية يدرس البناء الاجتماعي ، الجماعة بمختلف أشكالها ، وكذلك الأنظمة المختلفة وبقي الوضع على حاله إلى غاية الستينات من القرن الماضي حيث أصبح الفرد هو الفاعل الرئيسي في معظم التفاعلات الاجتماعية والمؤسسات المختلفة في المجتمع ، وأيضا القضايا اليومية التي يعيشها الفرد والجماعة .

وفي مطلع القرن العشرين استفاد علم الاجتماع بصفة عامة والنظرية السوسيولوجية بصفة خاصة من علاقته وتأثره بعدة علوم منها علم النفس والدراسات اللغوية وحتى الفلسفية وتتمثل في النظرية التفاعلية الرمزية التي كان لها الأهمية البارزة في مختلف الإشكاليات التي تم عرضها من طرف المختصين في مجال العلوم الاجتماعية .

وفي الوقت الحالي تجاوزنا النظرية الكلاسيكية ودخل علم الاجتماع مرحلة جديدة يمكن اعتباره علم الاجتماع ما بعد الحداثة في ظل العولمة وتحدياتها التي

اكتسحت كل الميادين ومختلف المؤسسات لاسيما الاجتماعية، إن علم الاجتماع اليوم يجب أن يراعي كذلك التغير الذي طرأ على كل المؤسسات حتى يتماشى مع هذا التحول الذي يشمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي حتى السياسي الذي وصل إليه المجتمع الإنساني ، إن دراسات علم الاجتماع منذ ظهوره حتى القرن الماضي كانت تشمل على ما يلي :¹

أولاً- أعمال بارسونز

منذ السبعينات والثمانينات من السنوات الماضية ظهرت بعض من المحاولات تحمل في طياتها إعادة صياغة وتحليل أعمال بارسونز، كما حاولت هذه الأعمال أيضا طرح وظيفة جديدة تكمل الأعمال التي قام بها بارسونز من اجل الإجابة عن بعض الأفكار التي كانت محل انتقادات بعض المفكرين وعلماء الاجتماع ، لكن هذه الأعمال والجهود لم ترتقي إلى أعمال بارسونز وما حققته الوظيفية من نجاحات في الخمسينات .

ثانياً-الأعمال النقدية

تمثلت هذه الأعمال بالنقد البنيوي التي كانت منطقتها متأثرة بالفكر الماركسي الاشتراكي ولبعض المفكرين الذين ينتمون إلى المدرسة الفرانكفورتية والذي مثله بعض المفكرين .

ومعظم أفكارهم التي جاءت من اجل التنفيذ لقيام النظام و الدولة الرأسمالية ومن خلال مناقشة أطروحاتهم حاولوا تحليل إنتاج العلاقات العامة كما طرحوا أفكار جديدة وفي مختلف الميادين مثل الاتجاه الجديد للماركسية الذي أحدثه بيار بورديو في مجال علم اجتماع التربية ومن الواضح إن الانتقادات الموجهة لعلم الاجتماع الكلاسيكي لعبت دورا بارزا و مهما تمثل في إظهار الاتجاهات المختلفة وهي كالآتي : ما بعد الحداثة ، و ظاهرة العولمة التي أصبحت من المواضيع الهامة في علم الاجتماع .

ثالثا-النظام الاجتماعي

- من الواضح والأهم في هذه الفترة وضع الصراع في قلب الحياة الاجتماعية والتركيز أكثر على الفاعلين والحركات الاجتماعية والتي تأثرت وبشكل ملحوظ بالفكر الماركسي و من بين هؤلاء المفكرين الان تورين .
- فعلا علم الاجتماع يحمل أفكار جديدة تعكس الفكر الغربي الحديث وتمثل هذه المبادئ والمحاور في ما يلي
- العقلانية أي الاعتماد على الموضوعية والدقة في حل معظم القضايا التي يعاني منها المجتمع وذلك من اجل تحقيق التقدم والتطور
- الاعتماد على الأحداث التاريخية في حل مختلف القضايا الاجتماعية لان التاريخ أحداث لا يمكن تعديلها أو تغييرها
- الاهتمام بالفرد الذي أصبح محور كل برنامج كما أن الفردية هي حرية الفرد في الحياة والاختيار فهذه الثلاثية مهمة في الدراسات الاجتماعية (الفرد - الدولة - الحرية)، إذن الفرد هو جوهر كل عمل تنموي أو تطويري يمس المجتمع بمختلف مؤسساته خاصة ونحن نعيش ثورة معلوماتية هامة .
- لقد تأثر علماء الاجتماع أيضا بالفكر الغربي بمختلف اتجاهاته والعولمة التي أصبحت أمرا لا بد منه في ظل التحولات التي يشهدها العالم لذلك إسهامات علم الاجتماع كثيرة ومتنوعة فالجامعات العربية عامة والجامعات الجزائرية خاصة، اليوم تتناول عدة قضايا التي لها صلة بالفرد العربي ومختلف المؤسسات التي ينتمي إليها فالطرح عميق فنحن بحاجة في الوقت الراهن إلى طرح القضايا وإيجاد الحلول من اجل تفعيلها على ارض الواقع وليس الطرح من اجل الطرح وما أحوجنا في الوقت الحالي إلى التحليل ودراسة القضايا التي تهتم الفرد بالدرجة الأولى والجماعة ومختلف المؤسسات المتواجدة في المجتمع العربي خاصة ونحن نعيش أزمت مختلفة مصدرها الفرد ، الأسرة ، المدرسة ، الجامعة كما أن

عرض وتشخيص القضايا ليس كفيلا وحده في معالجتها وإنما أيضا بتكاتف كل المؤسسات والجهود من طرف الدولة والمجتمع

المقصود بعلم الاجتماع

هناك اختلاف في تناول وطرح علم الاجتماع كمفهوم إلا أن العديد يخلط بين علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلاج الأزمات الاجتماعية كالفقر والجريمة..... ويعتبر أصحاب هذا الرأي أن المظهر التطبيقي كعلم أو فن الخدمة الاجتماعية يجعل منه دون مستوى العلم، وأدنى من العلوم الأخرى⁽²⁾.

لهذا فقد اجتهد علماء الاجتماع الغربيون في تعريف علم الاجتماع ،وقد بالغوا في هذا الاجتهاد ،حتى أن الدارس لهذا العلم يصعب عليه الحصول على تعريف جامع وموحد لعلم الاجتماع ،و لعل ذلك يعود إلى صعوبة تحديد موضوعات هذا العلم

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى أهم التعاريف لهذا العلم والمواضيع التي يشملها ،و ذلك كما جاء به علماء الاجتماع الغربيون أنفسهم وحتى العرب ، كما نشير إلى علم الاجتماع اللغة .

غير أن أول من استعمل اصطلاحا سوسيولوجيا (علم الاجتماع) هو العالم الفرنسي "أوغيست كونت" ، إلا أن الفيلسوف الانجليزي "جون ستيوارت ميل" استعمل هذا الاصطلاح في المجلثرا خلال الفترة التي عاش فيها كونت ، وظهر استعمال هذا الاصطلاح في كتابه "علم المنطق" الذي نشره في عام 1843.

و كان يقصد هذان العالمان بهذا الاصطلاح الحقيقة و المنهج الذي يجب أن يتبعه علم دراسة المجتمع ليكون مطابقا للعلوم الطبيعية من ناحية طرقه المنهجية و حقائقه النظامية المترابطة ،و كذا تحرره من العواطف و النزعات النفسية و الأحكام القيمية³.

إن ما يمكن الإشارة إليه هنا هو تعدد الآراء و المواقف حول قضية تعريف علم الاجتماع لدى علماء الاجتماع الغربيين والعرب و هذا طبقا لانتماءاتهم

الإيديولوجية .إلا أنهم قد مالوا جميعا إلى التعريف المختصر و هو أن علم الاجتماع " علم المجتمع " باعتباره العلم الذي يختص بكل ما هو إنساني اجتماعي ،أو بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية ، و كل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية ، ذلك أن المجتمع عبارة عن سلوك أي جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متسندة ووسيلتهم في ذلك التفاعل و العلاقات المتبادلة وينطبق الأمر على المؤسسات المتواجدة في المجتمع .

دور علم الاجتماع :

يلخص انا تيمما شيف دور علم الاجتماع كالتالي :

هناك أربع إجابات أساسية على هذا التساؤل -ما هو دور علم الاجتماع و عمله بالنسبة للعلوم الأخرى التي قدمها علم الاجتماع في عصور مختلفة من تاريخ هذا العلم ، فقد اعتقد كونت انه ينبغي على علم الاجتماع انه يضطلع بكل المادة التي درستها هذه العلوم المحدودة ، وان يستوعبها بحيث يجردها من سبب وجودها . ثم تصور سبنسر علم الاجتماع انه علم فوقي لا يلاحظ بنفسه الظواهر الاجتماعية ، لكنه يوحد الملاحظات و التعميمات التي انتهت إليها العلوم الاجتماعية المحدودة . أما جورج زميل فقد أصر على أن موضوع دراسة العلوم

الاجتماعية المحدودة يتمثل في مضمونه للأفعال الإنسانية التي تستهدف غايات معينة . فعلم الاقتصاد يهتم بالأفعال التي تستهدف حل مشكلات مادية كالإنتاج و التوزيع و التبادل و الاستهلاك وتعالج العلوم السياسية الأفعال التي تستهدف تحقيق السلطة السياسية و ممارستها لكن زميل كان يعتقد أن أيا من هذه العلوم لا يدرس صورة الأفعال الإنسانية في المجتمع و هي الصورة المشتركة بين كل نماذج الجهود و المحاولات كتكوين الجماعات الإنسانية و انحلالها و المنافسة و الصراع....⁴

و حسب "بول لازار سفيلد فان السوسيولوجيا- خلافا للعلوم الاجتماعية الأخرى- ليس لها موضوع دراسة محدد و دقيق .و مهمة السوسيولوجيا الرئيسية

هي وضع التكتيك و الطرق و الأساليب للأبحاث التجريبية التي يمكن استخدامها في أي علم اجتماعي كالاقتصاد و الحقوق و علم السكان ⁵

أما السيد محمد بدوي فينظر إلى دور علم الاجتماع كما يلي :

"بحث الظواهر بحثا موضوعيا لا دخل للعاطفة و لا للأهواء الشخصية فيه، فإذا ما استوفينا البحث و تكونت لدينا فكرة واضحة عن ظواهر المجتمع أو البيئة التي ندرسها، أمكننا بعد ذلك أن نخطو خطوة ثانية نحو الإصلاح، و نكون في هذه الحالة واثقين من أن مشروعاتنا الإصلاحية قائمة على أساس متين

و تدعمها دراسة موضوعية مستفيضة تلم بأطراف البحث من جميع نواحيه⁶ . وبهذا نصل إلى القول أن دور علم الاجتماع لا يقف عند الوصف الجاف للظواهر الاجتماعية و المشكلات المتنوعة التي يتخبط فيها الإنسان ، بل يهدف هذا العلم أيضا إلى فهم آليات الظاهرة و الباطنية التي تتحكم في هذه الظواهر و يسعى خاصة إلى التحكم فيها و التنبؤ بمستقبلها من إيجاد الحلول اللازمة .

كما يظهر لنا أن دور علم الاجتماع فيه نوعان من المسؤوليات . الشطر الأول علمي تنظيري و الشطر الثاني هو الإسهام وعلاقته مع العلوم الأخرى في تقديم الحلول ، بل العلاج المناسب للحد من المشكلات والآفات الاجتماعية .

كما نتساءل عن قيمة هذا العلم إذ اكتفى البعض من العلماء فقط بوصفه و تحليل بعض المشكلات الاجتماعية كما ينادي بها بعض العلماء ، أي عدم إقحامه في عملية التغيير و المشاركة في العلاج الاجتماعي .

نظرا لطبيعة علم الاجتماع والتوجه الذي أخذ لأول مرة مع مجيء الرواد الأوائل ، من المفيد التذكير بان ظهور علم الاجتماع بصورته الحديثة تزامن مع مختلف التغيرات التي شهدتها العالم من تحولات فلسفية ، اقتصادية واجتماعية في ارويا ، وإذا حاولنا حصر المبادئ الأساسية والأصول الفكرية لعلم الاجتماع فمجالها يتمثل في معظم النظريات الفلسفية الفكرية والنظريات البيولوجية التطورية والحركات الاجتماعية الإصلاحية عبر الأزمنة .

كما اهتم العلماء القدامى بالتغير الاجتماعي والمجتمع وذلك بغرض الوصول إلى قوانين جادة تتحكم فيه ، وكانت ابرز الانشغالات التي جسدها الباحثون في هذا الحقل والبحث عن طرق جادة وأساسية التي أدت إلى تلك التغيرات الاجتماعية الهامة عبر المراحل التاريخية لان " التغير الاجتماعي سنة من سنن الحياة والمتتبع لمختلف الحركات الموجودة في المجتمع الحديث يجد أن كل شيء في عالمنا هذا يتغير ، وهذا ينطبق على الأفراد والمجتمعات والشعوب والجماعات والأفكار والمبادئ والقيم وفي النظريات التي تظهر فتقلب الأوضاع وتعيد الحسابات ، فكل شيء يسير ويتحرك ويتغير في كل اتجاه وفي كل زمان ومكان (7) ، و تعددت أهداف هذا العلم داخل البلدان الغربية وفي كل دول العالم تقريبا ، تلك البلدان التي تم استيراد مجمل النظريات والمفاهيم المختلفة حتى ما يتعلق بالمنهجية من قبل المشتغلين في هذا التخصص ، لكن هو كيفية تطبيق هذه المناهج داخل الدول خاصة العربية لأنها تختلف كل الاختلاف عن الدول الغربية .

والملاحظ أن " البحوث الاجتماعية لها أهداف عديدة متباينة والمقصود منه تطوير المعرفة أو التقدم وتطوير النظريات بغية التفنن في إعطائها صيغة شاملة كونية ، وجعل المفاهيم المستعملة لمواصفة الواقع أكثر دقة وجودة ووضوحاً ⁸ ومن هنا يتبين انه من واجب المشتغلين بعلم الاجتماع داخل بلداننا العربية عامة والجزائر خاصة عرض

المواضيع التي يمكن لعلم الاجتماع معالجتها والمساهمة أكثر في بعث هذا العلم و تطويره و عدم الاكتفاء بالاستهلاك دون الإنتاج . و عليه يكون دوره التعرف على الأوضاع قصد تحليلها و تفكيك بنى المجتمع و كشف النقاب عن كل الملامسات من أقوال و أفعال ، و بذل الجهد المبرر بغية الوصول إلى أعماق المشاكل التي يعيشها المجتمع لاتخاذ معيارا أساسيا و أخذه بعين الاعتبار في كل محاولة كبيرة أو صغيرة كانت ترمي إلى علاج الأمراض الاجتماعية و تقويم الحالات الصعبة و التغلب

على الصعاب التي تحول دون التقدم و الرقي - فيكون بهذا علم الاجتماع الصورة والدعامة للنهضة الشاملة المرجوة من خلال تطلعات أي مجتمع .

بعد هذا العرض من الواجب أن يساهم علماء الاجتماع العرب كغيرهم من العلماء الآخرين في النهضة بهذا العلم عالميا ويبين لنا عبد الوهاب بوحدية انه من واجب علماء الاجتماع العرب المساهمة في عملية النهضة الشاملة لبلدانهم وخاصة في ظل التحولات التي يشهدها العالم ، و بان هذا لن يأتي إلا بفهم و تحليل الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية ، و الثقافية لهذه البلدان ، كذلك تفكيك البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات ، فهم العقليات و العادات و التقاليد و غربلتها لمعرفة ما هو صالح و ما هو طالح . كذلك تكمن مهمة علم الاجتماع و المشتغلين به في تقديم الحلول و ليس مجرد قراءة المشكلات الحادة، التي تتخطى فيها الدول العربية و وصفها . لان الدراسات تختلف من بلد لآخر بحكم الخصوصية التي يشهدها كل بلد .

هكذا نجد عبد الوهاب بوحدية ينادي بتأسيس علم اجتماع عربي عامة و مغاربي خاصة ، يقوم على الميدان و تشخيص المشكل من اجل إيجاد الحل و ليس مجرد علم يدرس في الجامعات بعيدا عن عملية التنمية الشاملة .

إن الغاية من جميع البحوث التي أنتجت في الساحة العربية و المغاربية بالخصوص -في نظر بوحدية- الفائدة المرجوة منها أن تتجاوز بكثير التطوير العربي للمعرفة العامة ، بل اجمع علماء الاجتماع العرب على ضرورة وضعها في صميم التحرك الاجتماعي ، بحيث أصبحنا لا نكاد نتصور عملا ما على الصعيد السياسي أو الاقتصادي ، أو الثقافي دون أن يكون قد استند إلى بحوث و إلى دراسات سوسيولوجية .

فوظيفة علم الاجتماع و المشتغلين به داخل هذه البلدان صعبة و مهمة في نفس الوقت و لا تقتصر على الجانب التدريسي و الأكاديمي أو القيام بالبحوث من اجل الشهادات و المراتب الاجتماعية لأصحابها ، بل ابعد من هذا ، فهذه البحوث

يجب أن تساهم في توضيح الرؤية لدى أصحاب القرار ، سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي ، أو الثقافي ، أو حتى التربوي الخ
لقد تناول علم الاجتماع عدة قضايا لها صلة بالمشكلات التي يعانيها الفرد من جهة والجماعة من جهة ثانية خاصة ونحن نعيش في ظل التغيرات والعولمة التي اكتسحت كل الميادين والمؤسسات بدون استثناء فانشغالات الجزائر ومختلف الدول العربية تمثلت فيما يلي :

علم الاجتماع اللغة

هو العلم الذي يدرس اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع ، أو العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح وتنظم سلوك اللغة وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع⁹ ، وقد تعددت التسميات التي يتفق بعضها في المضمون بشكل أو آخر مع علم اللغة الاجتماعي وتختلف في النطق ، نذكر منها : علم اجتماع اللغة أو علم الاجتماع اللغوي (sociolinguistics) ، علم الأنثروبولوجيا اللغوية (linguistique anthropologie) ، ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإن هناك نقاط متكاملة بين موضوعات تلك المباحث.

علم الاجتماع اللغة يهتم بالخطوط العامة التي تميز المجموعات الاجتماعية من حيث أنها تختلف و تدخل في تناقضات داخل مجموعة اللسانية العامة نفسها ، والوقوف على القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها وما يعترها من شؤون الحياة ، ومبلغ تأثيرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس اللغة ، وما تحمله هذه اللغة من الطوابع الحياة التي المتكلمون ، وطرائق الاستعمال اللغوي التي يكتسبها الإنسان من المجتمع¹⁰
وما أنتجه ابن خلدون حول اللغة يمكن أن يساعد على فهم المسألة اللغوية ، وخاصة في علاقتها بروابط القوة.

إن اللغة عند " ابن خلدون " ترتبط بالهيمنة ، وكذلك بشروط اجتماعية وجغرافية وتاريخية ، ويبدو البعد الاجتماعي ، أو السوسيو سياسي ، فيما أنجزه من ربط محير

بين اللغة والهيمنة، تتحدد فيه اللغة بروابط القوة؛ فاللغة ليست قوية في حد ذاتها، بل الهيمنة تعليلها أو تدنيها. إنها أداة بيد السلطة لتشريع هيمنتها وفرض قوتها ، في نص من نصوص المقدمة كتب ابن خلدون فصلا سماه "في لغات أهل الأمصار"، يربط فيه اللغة بروابط القوة؛ فاللغة المهيمنة التي تحتكر القول، وتفرض شرعيتها، هي لغة المجتمع المهيمن بدينه: "اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها". ولأن الهيمنة كانت لصالح الدولة الإسلامية على عهد عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" فقد كانت العربية هي اللغة الشرعية التي وجب استعمالها وهجر ما عداها من اللغات الأعجمية، لأنها مكر وخديعة، كما يقرر "عمر بن الخطاب"، ولكن اللغة العربية كذلك فقدت شرعيتها الاحتكارية وكادت تذهب لما تغيرت روابط القوة. "ولما تملك العجم ... وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة".

يخضع "ابن خلدون" اللغة إذاً لروابط الهيمنة، فاللغة المهيمنة هي لغة الدولة المسيطرة، تقوي بقوتها وتضعف بضعفها، فحينما كانت روابط القوة لفائدة الدولة الإسلامية وصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب، أسندت شرعية احتكار السلطة لصالح اللغة العربية ونُهي عن غيرها من اللغات الأجنبية أو الأعجمية لما فيها من مكر واستفزاز . أما حينما أخضعت الدول الإسلامية وسقط سلطانها وفقدته، "فسدت اللغة العربية على الإطلاق". معنى هذا أن "ابن خلدون" لا يدرس اللغة كموضوع مستقل بذاته، بل يربطها بشروط استعمالها وعلاقات القوة التي تحكمها، فاللغة الحقيقة هي لغة الأيديولوجيا المهيمنة .إنها خلق الدولة المهيمنة لبسط نفوذها وتشريعه بخطاب واحد ينسف ما عاداه .هكذا تحولت اللغة العربية في عهد "عمر بن الخطاب" إلى لغة "إمبريالية تسطو على لغة الآخر الأعجمي، فتنفيها وتقتلها. وها هي اليوم كما كانت على عهد المغول والتتار، تعاني أزمة حقيقية، تحت سطوة إرادة المهيمن واستبعاد الوسائط

التقنية الحديثة للاتصال لها، حتى قيل إن المجتمعات العربية لا لغة لها اليوم في ظل التغير الاجتماعي والعولمة .

وما يمكن قوله أن "ابن خلدون" تعامل مع المسألة اللغوية ليجعل منها "ظاهرة اجتماعية كلية" على حد تعبير "مارسيل موسي" مرتبطة بسياقية الاستعمال وبالعلاقات القوة وروابط الهيمنة داخل المجتمع .

كما يذهب "بورديو" إلى أن العبارات اللغوية هي أشكال من الممارسة، وبوصفها كذلك يجب فهمها على أنها نتاج العلاقة بين المظهر اللغوي والسوق اللغوية. فالمظهر اللغوي هو مجموعة من العناصر المكونة للأسلوب اللغوي، مثال عمليات تعلم اللغة في سياقات معنية كالأسرة والمدرسة. وأن الأسلوب اللغوي مغروس في الجسد ذاته كالصوت مثلاً أو ما يسميه بأسلوب التلفظ . ويرتبط هذا الأخير بالطبقات والفئات الاجتماعية، فالنطق عند الفئات الشعبية يختلف عنه عند الفئات الأرستقراطية أو الثرية .

إن العبارات اللسانية يتم إنتاجها دائماً في سياقات وأسواق خاصة. وأن هذه الأسواق تعطي لهذه الإنتاج اللغوي له قيمة ، وهذه الأخيرة تخضع بالطبع لمبدأ الكفاءة العملية، وهو مبدأ غير متساو يخضع لعملية رأس المال اللغوي، وهناك إمكانية تحويل رأسمال اللغوي إلى رأسمال ثقافي، وإنه كلما كان رأسمال المتحدث مهماً، كلما كان هذا الأخير -المتحدث- له القدرة على استغلاله لصالحه ويطرح "بورديو" في سياق تحليله السوسيولوجي للغة مفهوم آخر يتمثل في "السوق اللغوية"، فالنحو لا يحدد المعنى بقدر ما يحدده السوق اللغوي، وتوجد السوق اللغوية عندما ينتج شخص ما خطاباً موجهاً لمتلقين قادرين على تقييمه وتقديره وفهمه ومنحه سعراً معيناً، والسوق اللغوية شيء ملموس جداً ومجرد جداً في آن واحد، فمن الناحية الواقعية تعتبر السوق وضعية اجتماعية رسمية، إنها بمثابة مجموعة من المتحاورين ويتصل مفهوم السوق اللغوية بمفهوم رأس المال اللغوي، الذي يعبر

عن الكفاءة اللغوية، وهو ما يعني أن الفرد يمتلك من المهارات والمعارف اللغوية، ما يمكنه من تحقيق التميز.

ولكن إذا كانت اللغة تخضع للسوق اللغوية، ويحكمها رأس المال اللغوي يوصفه رأسمالياً رمزياً، فإن مشكلة الأسلوب، هي دليل على حضور الفرد وتميزه، وتبقي مطروحة، وتؤكد على أن ما يتحرك في السوق اللغوية ليس اللغة ولكن خطابات متميزة أسلوبياً، سواء في طريقة إنتاجها ومكانة منتجها أو مستقبلها. فليس هناك من سمة محايدة، وقد تأخذ الكلمة معاني متعارضة أو متناقضة. ولقد أكد "بورديو" على احترامه لاستقلالية اللغة ومنطقها الخاص وقواعدها الذاتية في العمل.

يقول "بورديو": " فليست سلطة الكلام إلا السلطة الموكولة لمن فوض إليه أمر التكلم والنطق بلسان جهة معينة. والذي لا تكون كلماته (أي محتوى خطابه وطريقة تكلمه في ذات الوقت) على أكثر تقدير، إلا شهادة من بين شهادات أخرى على ضمان التفويض الذي وكل للمتكلم، وأن أقصى ما تفعله اللغة هو أنها تمثل هذه السلطة وترمز إليها. فليس هناك سلطة الخطاب هناك فقط خطاب السلطة ". وعلى هذا فإن تحليل الخطاب عند "بورديو" لا يمكن أن يكون تحليلاً لذاته، أي لذات الخطاب، وأن الوحدات الصورية للخطاب لا تقدم معناها إلا إذا تم ربطها بالشروط الاجتماعية لإنتاجها، بمعنى للمكانة والوضع الذي يحتله مؤلفوها في حقل الإنتاج، ومن جهة أخرى إلى السوق الذي أنتج من أجلها. فعلي سبيل المثال أن خطاباً سلطوياً كدرس الأستاذ وخطبة الواعظ الديني، أنه خطاباً لا يفعل فعله إلا أن يُعترف به كخطاب نفوذ وقوة . وهذا الاعتراف الذي قد يقترن بالفهم أو بدونه لا يتم ببسر وسهولة إلا ضمن شروط خاصة، وهي الشروط التي تحدد الاستعمال المشروع. فالخطاب ينبغي أن يصدر عن الشخص الذي سمح له بأن يلقيه، أي عن هذا الذي عرف، واعترف له، بأنه أهل لإنتاج

فئة معينة من الخطابات، وأنه كفاء وجدير بذلك. كما أنه ينبغي أن يلقي في مقام مشروع، أي أمام متلقي شرعي، وأخيراً ينبغي للخطاب أن يتخذ الصورة الشرعية القانونية، أي أن يخضع لقواعد النحو والصرف.

وخلاصة القول ، انه لا تتمكن لغة السلطة من فرض سطوتها وسلطتها إلا بمساعدة من تحكمهم، أي بفضل مساهمة الآليات الاجتماعية القادرة على تحقيق ذلك التواطؤ الذي يقوم على الجهالة، والذي هو مصدر كل سلطة.^{1 1}

الصراع اللغوي

مثلما تتفاعل المجتمعات وتتصارع إلى البناء والغلبة والقوة فكذلك اللغات، إذ يحدث بينها ما يحدث بين الكائنات الحية وبين مختلف الجماعات من احتكاك. فالألفاظ كالناس تنتقل كما ينتقلون وتهاجر كما يهاجرون. ويذكر أصحاب النظرية الاجتماعية للتطور اللغوي الناجم عن الصراع بين اللغات في حد ذاتها . من أعظم الاكتشافات التي عرفها الإنسان على مر العصور اللغة، فقد نشأت باتفاق جمعي نتيجة حاجات الفرد والجماعة، وهي أحد العوامل المؤثرة في المجتمع تبقى ببقائه وتزول بزواله، كما أنها قطعة من الحياة التي نشأت فيها وسارت معها وتغذت بغذائها ونهضت بنهوضها .

فلا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين، لأن فيها من الإنسان فكره وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه، وهذه النظرة الاجتماعية إلى اللغة أكدها العالم (فيرث) بقوله: "لنبدأ نعتبر الإنسان ليس مفصّولا عن العالم الخارجي الذي يعيش فيه، إنه ليس إلا جزءاً منه فكلامك ليس مجرد تحريك اللسان أو اهتزاز في الحنجرة، إنه أكثر من ذلك نتيجة لعمل العقل في تأدية وظيفته كمدير للعلاقات، لتحفظ عليك سيرك في المحيط الذي تعيش فيه ، إن دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ومكونا من مكونات الثقافة قد حظيت بنوع من الاستقلال ونوع من الاهتمام

الخاص، وأصبح لها علم معترف به تشيع الإشارة إليه بمصطلح علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistiques) وهو العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع، وينتظم كل جوانب اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية . كما أن هناك صراع آخر بين العامة والفصحى وكذلك بين المناطق الريفية والحضرية .

قضايا تخص الأسرة

إن الأسرة هي النواة الأولى و الأساسية لبناء المجتمع كما يقال إن صلحت صلح المجتمع ككل ، فهناك العديد من الباحثين اهتموا بهذا الموضوع وأعطوا له بعدا اجتماعيا موضوعيا ، ويرى في هذا الصدد فردريك لوبلاي أن العائلة الإنسانية تمر بثلاث مراحل مهمة وتاريخية فهناك العائلة المستقرة ومرحلة العائلة الفرعية ومرحلة العائلة غير المستقرة .

وإذا كان التركيب الاجتماعي للأسرة في مجتمع ما ، يعكس حقيقة موضوعية تقع في زمن معين فان الشكل التركيبي للأسرة يعتبر تجريدا أو حالة مثالية وللتغير الاجتماعي انعكاس على الأسرة فهو " التطور الذي يحدث تأثيرا في النظام الاجتماعي أي الذي يؤثر في بناء المجتمع ووظائفه وهو ذلك الذي يطلق عليه اسم التغير الثقافي^{1 2}

تعتبر الأسرة أهم مؤسسة موجودة في المجتمع و قد تداولتها كل الدول من حيث التعاريف والأهمية ، فعلا هي الدرع الحصينة التي يقوم عليها المجتمع ، وهناك من يعتبرها أهل الرجل وعشيرته ، كما تطلق على الجماعة التي تربطهم أمور مشتركة كرابطة الدم والقرباة وأكثر من ذلك العصبية مثل ما أشار إليه ابن خلدون

ومن أنماط الأسر الأكثر انتشارا اليوم وهي الأسرة النواة ، لكن السؤال المطروح هل هذا النوع من الأسر يقوم بكل الوظائف المنوطة به خاصة ونحن نعيش في ظل التغيرات والتطور الباهر لوسائل الإعلام ، وهناك من اعتبرها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم والتبني ويعيشون معيشة واحدة ،

ويتفاعل كل واحد مع الآخر في حدود ادوار الزوج والزوجة "والعلاقات الأسرية في صيغتها الرسمية ترمي إلى أن تصبح المقياس الذي تبنى على أساسه وتقيم كل علاقة اجتماعية^{1 3}

الملاحظ في الآونة الأخيرة ومع ظهور الوسائل التكنولوجية العالية أصبح داخل الأسرة نوع من التنافر وعدم وجود الحوار والاتصال الذي يمكن القول عنه شبه موجود ، والتفاعل الاجتماعي في الأسرة أمر ضروري ويعتبر من الأدوار المهمة داخلها وهذا من بين الإشكالات المطروحة على مستوى هذه المؤسسة الهامة في المجتمع .

وهناك العديد من العلماء الذين تطرقوا إلى ماهية الأسرة ، وإذا كان الاختلاف واضحا بين العلماء في تعريف ماهية الأسرة ، فإن هذا الاختلاف يظهر جليا كذلك بين العلوم الاجتماعية التي تشترك في دراسة الأسرة وعلى رأسها الانثربولوجيا وعلم الاجتماع العام والأسرة والديموغرافيا لان كل من هذه العلوم تبني زاوية تنظر منها إلى هذه المؤسسة المهمة في المجتمع كما "إن التربية هي ذلك النشاط الممارس من طرف الأجيال الراشدة على تلك التي لم تصبح كذلك لخوض معاناة الحياة الاجتماعية هدفها إثارة وتنمية القدرات الجسدية الثقافية والأخلاقية عند الطفل (1 4) .

وهناك اعتقاد سائد وواضح في الوسط العلمي أن الأسرة النووية هي امتداد جزئي للأسرة أو العائلة أو حتى القبيلة خاصة في المجتمعات العربية ومن أهم القضايا التي طرحت على هذا المستوى : التنشئة الاجتماعية ، الرعاية الأسرية ، المعاملة الوالدية ..

قضايا تربوية

من الطبيعي لأية دولة كانت، الاهتمام بالمسائل التربوية بحيث لا يمكن فصل المدرسة عن هذا الكل (المجتمع) لأنها تكمل الأسرة، وقضايا التربية أصبحت من المواضيع التي يقوم بدراستها علم الاجتماع لأنه من المستحيل الحديث عن مجتمع

دون التطرق إلى المدرسة خاصة في ظل التحولات التي يشهدها العالم والمدرسة هي جزء هام من هذا الكل . كما أن التربية تهدف إلى معرفة تأثير المرء في بيئته بفاعلية وتعقل وليس من باب أو تنفيذ تقنيات (1 5)

واليوم معظم الجامعات العربية تدرس لطلبتها علوم التربية وعلم الاجتماع التربوي نظرا لطبيعة هذا الموضوع الذي يعتبر من المواضيع الحساسة ومن أهمها : المنهاج ، الأهداف التربوية ، التقويم المدرسي ، جماعة الرفاق ، التسرب المدرسي

خاتمة

وفي الأخير نرجو أننا قد طرحنا موضوع يساهم ولو بالقليل في عملية البحث العلمي والسوسيولوجي . لقد شكلت القضايا والمشكلات الاجتماعية اهتمام العديد من علماء الاجتماع ، فكل واحد كانت له وجهة معينة في دراسة وطرح المواضيع والإشكاليات حسب طبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه .

بإمكان المرء أن يلاحظ أن المجتمع العربي راح ساعيا وباحثا على من يأخذ بيده ، إننا في عصر المعلومات والانترنت وعصر الصراعات الذي يستدعي من عالم الاجتماع أن يدرس القضايا الاجتماعية حتى يصل إلى الحلول والنتائج المبنية على خطوات علمية ثابتة .

إن المجتمع اليوم من خلال أفراده يجب أن يغير نفسه بنفسه وعليه أن يبدع من خلال النماذج الثقافية والمعيارية ومن خلال معارفه ، وبالتالي هو ليس إنتاجا وتكيفاً بل يتعدى هذا المفهوم فهو إنتاج نفسه وهو أيضا يقوم بإنشاء وإقامة علاقاته مع محيطه من خلال نماذج معارفه . الاجتماعية " 1 6

كما يجب مناقشة كل البحوث والدراسات من الواقع المعاش والخروج بنتائج الغاية منها المساهمة الفعلية في عملية التنمية والبناء الاجتماعي .

ومن ناحية أخرى إن علم الاجتماع اللغة يهتم بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية على تعلم اللغة واستخدامها. وتزايد الاهتمام بهذا العلم في أواخر الستينات وكذلك هناك دراسات اهتمت بالاضطرابات الكلامية واللغوية في ضوء المتغيرات الثقافية والاجتماعية. وتعدد اللهجات العامية (dialectes) ومختلف المعايير اللغوية (standards) من المفاهيم المركزية التي يهتم بها علم الاجتماع اللغوي.

كما أن اللغات في تغير مستمر وذلك لأنها تستجيب لمختلف التغيرات التي تطرأ على البنية الاجتماعية ، إذن اللغة هي المرآة العاكسة للمجتمع ، ويعد علم الاجتماع اللغوي هو دراسة اللغة حسب استخدامها وأيضا حسب التواصل اللغوي بمعنى آخر دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع من الاهتمامات الأساسية لعلم الاجتماع اللغة .

إن خلق واقع اجتماعي وسياسي أو حتى اقتصادي هو فعل مرتبط بنا وبنشاطنا وإرادتنا الفعلية والأساسية في عملية التغير وهذا بدوره يساهم وبشكل كبير في المساهمة في أعمال كثيرة ومهمة لان في النهاية هو تطوير المجتمع .

قائمة المراجع

- 1- عبد العالي دبله ، مدخل إلى التحليل السوسiolوغي ، الجزائر، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، سنة 2011
- 2- حسين عبد الحميد رشوان ، دور المتغيرات الاجتماعية في طب الأمراض ، الإسكندرية ، الكتاب الجامعي الحديث ، سنة 1989، ص 19
- 3- ينكين ميتشال ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان محمد حسن ، بيروت، دار الطليعة ، ط 2، 1986، ص 228 .
- 4- محمد الزغبي ، علم الاجتماع العام و البلدان النامية ، سوريا ، مطبعة خالد بن الوليد ،⁴ جامعة دمشق ، سنة 1987 ، ص 62
- ⁵ - نفس المرجع ، ص 65.
- السيد احمد بدوي ، مبادئ علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعارف الجامعية ، 1990 ص 09⁶ .
- 7- سيف الإسلام علي مطر ، التغير الاجتماعي ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، 1988 ، ص 08
- 8- عبد الوهاب بوحديبة ، لأفهم فصول عن المجتمع والدين، تونس ، الدار التونسية للكتاب ، سنة 1992 ص 09
- ⁹ - كمال بشير ، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، القاهرة ، مكتبة الشباب ، ص 52 .
- هادي نمر ، علم اللغة الاجتماعي عند العرب ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، سنة ، 1988 ،¹⁰ ص 45 .
- ¹¹ - Ronald Wardhangh, **An Introduction to Sociolinguistics**, Blac Well Publishing, 2006.
- 12- نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، معجم العلوم الاجتماعية، تونس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1975

¹³Bourdieu P , à-propos de la famille comme catégorie
réalise in ate de la recherche en science sociale, décembre
1993,p33 .

¹⁴Durkheim ; E , **de la division du travail social** , paris , PUF ,
1944

¹⁵تيري بروتون ، البعد اللامرئي التحدي الزمني والإعلامي ، ترجمة : نذير طيار ، المجلس
الأعلى للغة العربية ، 2006، ص32.

¹⁶Alain Touraine ; **production de la sociétés** , paris , , édition
du seuil 1973